الاولين كانوا من العجم وربّما تعصّبوا للتهم وحاولوا ايثارها على العرب . ولا يسعنا هنا الا انْ نذكر مكاتبنا الفاضل بما كتبهُ في هذا الامر الدكتور غُلدتسير (١ . فلا يُستغرب اذن نفوذ الفرس في اللفظ العربيّ

رابعًا انّ ملاحظات المسيو كرمكي على لفظة « دجاجة » لا تخلو من البراعة والحذق بيد انّها غير ثابتة اذ يمكن القول ان « جاجة » صورة مختصرة اعتادها العامّة بدل « دجاجة » كما يقولون « زيرة » بدل « جزيرة » او كما كان يلفظ عرب الاندلس « عامة » بدل « نعامة » (٢

هذا ونكرّر الثناء على المسيو كرمكي ولا نشكّ انّ القرّاء يتلقّون مقالتهُ بمزيد الشكر لما اودع فيها من الاعتبارات المبتكرة (٣ ه . ل .

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

الاب سبستيان رتزقال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فيظهر من قول وادنكتون ان زينب كانت كريمة النسب تنتمي الى اشرف عيال تدمر على انّ ذلك لم يكن ليرضيها . وكانّي بها خجلت من انْ تُنسب الى ابنة تاجر فحاولت بما امكنها من الوسائل ان تخفي اصلها وذلك امرٌ شائع بين ملوك المشرق اذا خجل نسبهم ان يدّعوا لهم اصلًا يرتقون بهِ الى من تقدّمهم من الملوك

قال المسيو دي ڤوكويه (٤ : انّي اعدُّ سكوت المؤرخين عن صحّة نسب زينب ضربًا من التأنّق . واذا رأى العرب ما بلغت اليهِ من السطوة وعزّ القدر والخبرة العجيبة في آداب الحرب احبُّوا ان يتوهّموا لمن دانت لها البلاد اصلًا شريفًا عزوها اليهِ في حياتها . وجاء في تاريخ تريبليوس پوليو ان زينب كانت تنتسب الى تلك الملكات الاواتي اشتهرنَ في تواريخ

١) Goldziher : *Muham. Studien* I, 208

٢) راجع ايضًا كتابنا الموسوم Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, *Beyrouth*, 1890, p. 157

٣) لمّا كان هذا العدد من المجلّة على وشك الطبع وردتنا مقالة أخرى في لفظ الجيم لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي وان شاء الله سننشرها في عدد آخر مع جملة قرّاءاتنا معرفتهُ

٤) V., p. 33

المشرق كسميراميس ملكة اشور وبيدون صاحبة قرطاجنة وكلاوپترة ملكة مصر. وكانت تدّعي بنوع اخصّ انّ هذه الاخيرة من اجدادها وانها هي حفيدتها. وقد اشعر اتّخاذها لاسم زينب بشدّة حرصها على السيادة وبما خصّت به من الصفات الملكية ومعناه في اليونانية قوّة المشتري (Ζηνοβία، من Ζεύς وβία) (١

ولمّا مات سبتيميوس أذينة الثاني ملك تدمر ضبطت زوجتهُ زينب عنان الرئاسة واخذت تدبر شؤون الرعية بالنيابة عن ابنها البكر وَهْبلات והבלת (ومعناهُ بالآرامية هبة الإلاهة. فما كاد ينتشر هذا الخبر في الاقاليم التي دبّرها اذينة قبل وفاته حتّى تاقّتهُ الرعايا بزيد المسرّة وكانت هذه الاقاليم ستة السوريّات الثلاث (الاولى والثانية والثالثة) والجزيرة وقيليقية وقسم من آسية الصغرى. ومن العجب الامور انّ قبل عهد زينب بقليل قامت في الغرب امرأة اخرى تدعى ڤيكتورينة استولت الامر في بلاد غالّية لما رأت في ملوك رومة من الضعف والفشل فلم يقووا على حفظها. ولذلك قال المؤرخون انّ رجال ذلك العصر تأنّثوا واستخلت النساء حتّى فلنّ السيادة على الشعوب

---

١) ولدَّ سائلًا يسأل عمّا في دعوة زينب بانتسابها الى كلاوپترة من الصحّة. فنقول انهُ لمقرّر انهُ وُجد بين تدمر ومصر علائق تشهد عليها الآثار القديمة. فكان كثيرٌ من المصريين حلّوا مدينة تدمر وادخلوا فيها بعضاً من عوائدهم لا سيّما فيما يختصّ بدفن الموتى والمآتم واخبر بعض المسافرين انهم وجدوا في تدمر جثثاً محنّطة على طريقة المصريين (J. A., Sept. 1897, p. 350) وذكر الرحالة پوجولا (Poujoulat : *Voyage en Asie Mineure* II, 148) انهُ وقف على عدة نواويس فسأل عنها بعض العرب فاجابوهُ انهُ كانت فيها جثث من الموميا الّا انّ اهل الوبر قد استخرجوها ظنّاً منهم انها تحتوي نفائس من الذهب والفضّة (راجع ايضاً كتاب برتون الانكليزي Burton : *Unexplored Syria* وكتاب المسيو دي برنوڤيل : de Bernouville) *Dix jours en Palmyrène*, p. 119)

لكنّ ذلك ليس بكافٍ لنسب زينب اصلًا مصريًّا والارجح عندنا انها كانت آراميّة الاصل وانتحلت نسب كلاوپترة لشدّة طمعها في الملك. واقوى دليل على ذلك صورة اسمها السابق ذكرهُ وهو نبطيٌّ آراميّ او كاغلب الاسماء الموجودة بين الآثار القديمة. واما قول بعض الكتاب انها كانت عربيّة الجنس فذلك زعم ذهب اليهِ قومٌ ولا يخلو من بعض الصحّة الّا انّ العلم لم يقرّره حتّى اليوم تقريرًا كافيًا (راجع V. n° 124 ; Doughty : *Documents épigraphiques, recueillis dans le Nord de l'Arabie*, 1884, *passim* ; Blau, Z. D. M. G. 1871, 550 ; Corpus Inscript. Semit. II, t, 1, *Introd.*)

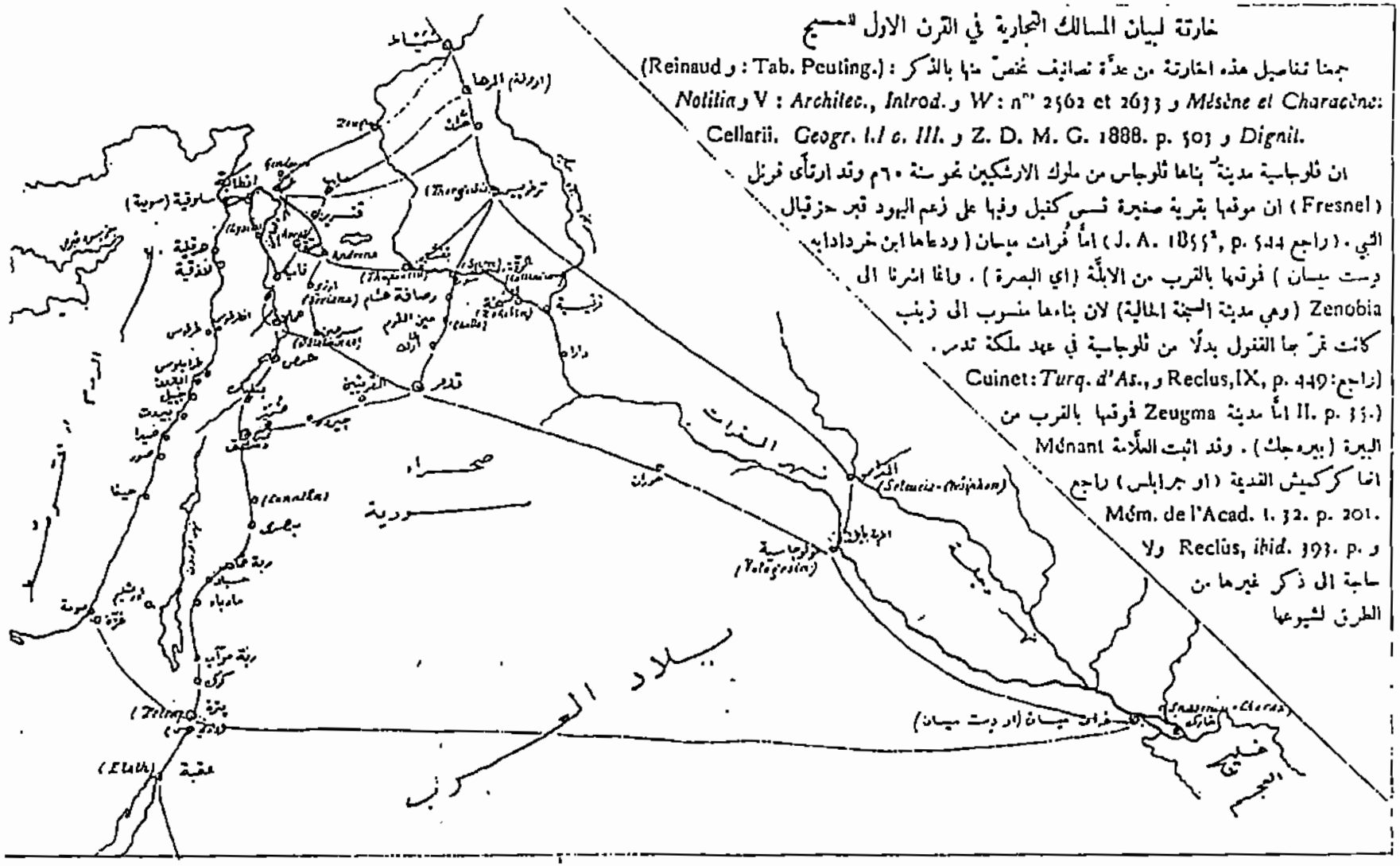

خارطة لبيان المسالك التجارية في القرن الاول للمسيح

جمنا تفاصيل هذه الخارطة من عدّة تصانيف نخصّ منها بالذكر : (Reinaud و Tab. Peuting.) و *Mésène et Characène*: *W* : n°s 2562 et 2633 و *Notitia* V : *Architec., Introd.* و Cellarii. *Geogr. l.l c. III.* و Z. D. M. G. 1888. p. 503 و *Dignit.*

ان تلوجاسية مدينة بناها تلوجاس من ملوك الاشكيين نحو سنة ٦٠م وقد ارتأى فرنل (Fresnel) ان موقعها بقرية صغيرة تسمى كتبل وفيها على زعم اليهود قبر حزقيال النبي . (راجع J. A. 1855, p. 544) اما فرات ميسان (ودعاها ابن خرداذابه دست ميسان) فرقعها بالقرب من الابلّة (اي البصرة) . واما اشرنا الى Zenobia (وهي مدينة السخنة الحالية) لان بناءها منسوب الى زينب كانت تمرّ بها القنرل بدلًا من تلوجاسية في عهد ملكة تدمر. (راجع: Reclus, IX, p. 449 و Cuinet: *Turq. d'As.*, II. p. 33.) اما مدينة Zeugma فوقعها بالقرب من البيرة (بيره جك) . وقد اثبت العلّامة Ménant انها كركميش القديمة (او جرابلس) راجع *Mém. de l'Acad.* I. 32. p. 201. و Reclus, *ibid.* 393. p. ولا حاجة الى ذكر غيرها من الطرق لشيوعها

٤

ان من استقرى اخبار زينب يقضي من امرها العجب لما ابقت ملكة تدمر في تاريخ العالم من المآثر الجليلة ويدهش لسرعة بلوغها الى اوج السلطة والمجد. بيد انَّ ترجمة حياتها تستلزم توطئةً تُفصح عن احوال تدمر منذ ابتداء امرها ليستدلَّ القارئ على الاسباب التي نهضت بهذه المدينة الى مدارج الفلاح واوسعت نطاق تجارتها وبلغتها الى مقام رفيع الَّا اتخذتها زينب كعاصمة ملكها

لا يُخفى انَّ لتدمُر اسماً آخر في اللغات الاجنبية وهو پَلميرة (Palmyre) معناها مدينة النَّخل (١). وقد ترجَّح الرأي عند العلماء انَّ سليمان الحكيم هو مشيِّد هذه المدينة مع ما فيها من ابنية الجبابرة. والدليل على ذلك اوَّلاً شهادة الكتاب المقدَّس في سفر اخبار الايام الثاني (٨ : ٣ ، ٤) حيث جاء قولهُ تعالى عزَّ وجلَّ انَّ « سليمان مضى الى حماة صوبة وتغلَّب عليها وبنى تدمر في البرّية وجميع مدن الخزن التي بناها في حماة » ووافقهُ ما جاء في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) اذ قال الكتاب عن سليمان : « فبنى سليمان جازر . . . وتدمر في ارض البرّية ». (والدليل الثاني) على انَّ تدمر من اعمال سليمان تقليد اليهود تناقلوهُ ابًا عن جدٍّ واثبتهُ يوسيفوس المؤرِّخ في كتاب العاديات اليهودية (ف ٨ : ٦٤) فنسب بناء تدمر لسليمان. وفي شهادة يوسيفوس من القوَّة ما لا يجحدهُ جاحد مع ما كان عليهِ من الخبرة بتواريخ اليهود القديمة. (والدليل الثالث) موافقة العرب لاسيَّما سكَّان البادية على ذلك وهم يزعمون انَّ الجنَّ هي التي بنت تدمر لسليمان وعلى ذلك قول النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية :

الَّا سليمان اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريَّة فاحددْها عن الفَنَدِ
وخيِّر الجنَّ أني قد أمرتهمُ يبنونَ تدمُرَ بالصفَّاحِ والعَمَدِ

فناهيك بهذه البراهين الثلاثة من شواهد تكفي لإقناع من لا يرضى بالحجَّة والخصام

---

١) ولعلَّ اسمها العبراني תדמר صورة اخرى للفظة תמר (تمر) باقحام الدال فيها ومعنى تمر النخل وهذا على زعم قوم . امَّا المتنبي فقد اشتقَّ اسمها من الدمار حيث قال يمدح سيف الدولة وكان اوقع بقبائل العرب عند تدمر :

وليس بغير تدمُرَ مستغاثٌ وتدمرُ كاسمها لهمُ دمارُ

الَّا انَّ هذا اشتقاقٌ بديعيٌّ ذكرهُ المتنبي على طريقة الجناس ليس الَّا

وتُبطل حجج بعض المحدثين الذين انكروا ذلك (١ . الا انّ في مزاعمهم ضروبًا التباين والشطط ينقضها متن الكتاب الكريم (٢ وفي قرينة الآية المذكورة آنفًا ما يـ كلّ التباس وشبهة اذ جاء اسم تدمر مقرونًا بذكر حماة (חמת) . ولا يخفى ان سليمان كانت تمتدّ الى اقاصي سورية الشمالية الى مدينة تفسح الواقعة على ضفّة الفرا فلو لم يقصد الكتاب العزيز الاشارة الى مدينة تدمر التي نحن بصددها لما اورد اسمها في المدن التي عيّنها كحدود مملكة سليمان شمالًا . لاسيّما وان موقع تدمر انسب محلّ اخ سليمان اختيارهُ لبنا . مدينة تكون له بمثابة مربط لتجارة رعاياهُ او كما يقول الكتاب كا "مُدن الخزن" . وزد على ذلك انّ الخطوط التدمريّة المكتشفة حديثًا أتت مؤيّدة لـ فان اسم هذه المدينة قد ورد فيها غالبًا على نفس الصورة المذكورة في التوراة وخصوص الكتابة التجارية التي سنتكلّم عنها (٣

قال السيّد برنوفيل (٤ : « انّ مدينة تدمر المذكورة لاوّل مرّة في الكتاب المقدّس تكاد ترى لها ذكرًا مدّة الف سنة الى ان كشف عن وجودها القناع بليدوس الطـ (٢٣—٧٩ ب م) فوصفها وصفًا شائقًا يدلّ على ما نالهُ من النجاح والتقدّم في توالي الد ونعتها بحسن موقعها كمركز اثير الخطارة بين مملكتي الرومان والفرس" . والحقّ يقـال بعد وفاة سليمان الحكيم أصبح ذكر تدمر نسيًا منسيًا الى عهد قياصرة الرومان . فا التاريخ القديم هيرودوت ضرب عن ذكرها صفحًا وكذلك لا تجد لاسم تدمر اثرً اخبار فتوحات الاسكندر وبومپيوس وطرايان كما فات سطرابون الجغرافيّ تعريف احوالها حسن معرفتهِ بالانحاء الشرقية

وجلّ ما انبأتنا بهِ الاكتشافات الحديثة انّ نبوكد نصّر الثاني اجتاز بتدمر في ا

---

١) راجع Hitzig : Z. D. M. G. VIII, p. 222 — راجع ايضًا كتاب التاريخ للسيد ماسپرو (Maspero) في طبعتهِ الرابعة

٢) ومن غريب ما قيل في تدمر المذكورة في الاسفار المقدّسة انها مدينة من اعمال ارتـ او الكوكاس Haneberg : *Geschichte der biblische Offenbarung*, p. 250.

٣) اطلب مقالة حسنة كتبها في تدمر الدكتور سميث th : *A Dictionary of the Bible* (Tadmor)

٤) راجع كتابهُ عن تدمر (ص ٢ و ٣)

القرن السادس قبل المسيح عند مسيره الى خاربة فلسطين ومصر ففتحها عنوةً . وذهب قوم الى انهُ هدم سورها وخرب ابنيتها . وذلك امرٌ فيهِ نظرٌ لان الآثار القديمة التي يزورها سيَّاح عصرنا تبيّن صريحًا انّ ذلك الغازي الشهير لم يستأصل ابنيتها جملة . اما ذو القرنين فلم يتعرّض لتدمر ولمَّا قصد العراق عبر الفرات عند مدينة تفساح المارّ ذكرها

ولا عجب من خمول ذكر تدمر في التاريخ القديم لانها لم تزل الى اوائل النصرانية مدينة تجاريَّة محضة . الى ان اتاح لها اللهُ حياةً سياسيَّة جعلتها من امهات المدن وذلك ما يحدو بسيَّاح عصرنا ان يشدّوا اليها الرحال ويحطّوا عندها عصا الترحال

٥

قد برَّز الشرقيُّون في كلّ آنٍ بحذاقتهم في ضروب المتاجرات واغنا نال بينهم قصبة السبق آلُ فينيقية فانّ تاريخ تجارتهم يرتقي الى ما فوق القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وقد مرّ في بعض اعداد المشرق (٢١٩) ما يُعرب عن اتساع نطاق تجارتهم البحريَّة . فذلّلوا تيَّار المياه وخاضوا معامع التجار حتى فازوا على اقرانهم بالسهم المُعلَّى . ولم يكن نفوذهم التجاريّ برًّا اقلّ شأنًا وخطارةً فانّهم فضلًا عمَّا كان العرب يأتونهم بهِ من بلادهم كانوا يتردَّدون الى انحاء مصر والفرات لنقل بضائعهم واستجلاب خيرات تلك الاصقاع الى اوطانهم . بيد انّ قوافلهم كانت تعدل عن طريق البراري فلا تقطع المفازات الواقعة بين سوريَّة والعراق خوفًا من غزوات قبائل البادية . وذلك ما حمل سليمان على ان يطلب لتجارتهِ مع العراق طريقًا اقصر فلم يجد مدينة افضل موقعًا من تفساح . ولمَّا لم يرَ بُدًّا من اتخاذ مركز تحطُّ التجار قبل البلوغ اليها صمَّم النيَّة على بناء تدمر لتكون كمحطَّة لعيراتهِ ومخزن حصين في وجهِ اهل الوبر لخيرات بلاد العراق

فاصاب سليمان المرمى وجاءت تدمر محققةً لآمالهِ وهي المدينة الحريزة البنيان الحَسَنة الاتقان تراها في وسط البراري كريفٍ مُخصب او واشٍ طيّب او زبرجد تحدق بهِ الرمال كقلادةٍ ذهبيَّة (١ . فلم تلبث ان تضحى موردًا يتقاطر اليهِ ارباب التجارة . ولنا دليلٌ صادقٌ

---

١) وما كان يزيد في رفعة مقام تدمر خزارة مياهها في الزمن القديم . فكان لها ماء غدق ويجري فيها عدَّة انهار نضب اليوم اكثرها فلم يبق منها سوى جدول او جدولين . واشتهرت بيوعها المعدنية يتوارد اليها اصحاب العاهات للاستحمام فيشفوا من اسقامهم ولذلك دعا الرومان تدمر وار باشها بسورية الشافية (Syria salutifera) . وقال بطليموس الفلكيّ الشهير الذي عاش في

على ذلك ألا وهي كتابة قديمة بالنبطية وُجدت حديثاً في تيماء شمالي جزيرة العرب(١ جاء بها ذكر تدمر وهي تصفها كفندق منيع الارجاء في برّية الشام. وتاريخ هذه الكتابة يرتفع الى القرن السادس قبل المسيح

ولمّا صار امر البلاد الشرقية الى السلوقيين وظهر في دولتهم الفشل والانحطاط انتهزت قبائل البيظ الفرصة لتخلع عنها نير هؤلاء الملوك وسلمت قيادتها الى من يرءوسها من ابناء جلدتها. فكثرت الولايات المستقلة في انحاء الرها وحضر (Atra) وهارك (Charax) وغيرها من بلاد الجزيرة والعراق (٢. ولمّا كانت كلُّ هذه الطوائف تحترف بزاولة التجارة جعلت تسيّر قوافلها الى پترة (وادي موسى) وغزّة وتدمر فاصبحت حاضرة زينب منذ ذلك العهد مدينةً خطيرة من عواصم من آسيّة الغربيّة

(ستأتي البقية)

القرن الثاني للمسيحيّة انّهُ كان يسيل في وسط البلدة بقرب الياكل نهر كبير يعرف البَرَدى ولم يزل السيّاح من العرب وغيرهم الى القرن الثاني عشر يصفون تدمر بعذوبة مياهها المتفجّرة وكثرة حياضها وآبارها وحدائقها (راجع Reclus : *Géogr.* IX, 792) ومقالة للدكتور ركندرف (Chesney : *Expedit.* ؛ Z. D. M. G, 1888, p. 409) وقال الجنرال تشسني *to the Euphrat.* 1850, t. I p. 526) انّهُ شاهد في تدمر بقايا قناة تمرُّ الآن بين المقابر وبما كانت تجري مياه عين اسها أفقة كالعين المشهورة بهذا الاسم في لبنان. وكان لقب أفقة يطلق على العيون المختصّة باسم الزُهرة (راجع V. n° 95) وقد لاحظ بعض السيّاح المحدثين في نواحي دمشق وبعلبك آثاراً اخرى لقنيً وحياض كبيرة بقرب عين الفيجة وعين لبوة وغيرها يشبهها الاهلون الى زينب جرياً على عادتهم كما سبق (Sachau : *Reise in Syrien und Mesopot.*, p. 23,55) وتاريخ الرومان لمُمسن (Mommsen V, 429). وزاد ان زينب قصدت من بناء تلك القنوات استجلاب المياه الى حاضرتها. وهذا زعم لا سند لهُ اذ قد اوضحنا ان مدينة تدمر كانت تستغني بما فيها من الآبار والآسراب الغزيرة عمّا سواها من المياه البعيدة الموقع. ولو صحّ قول الاهلين في نسبة تلك البقايا الى زينب فجُلُّ ما يجوز الاستنتاج منهُ هو ان سلطانة تدمر قد عزمت على ان تُعمّر البرّيّة بواسطة اجراء المياه على مفاوزها)

١) راجع Corpus Inscript. Semit. II p.107

٢) R. Duval : *Hist. d'Edesse* J. A. 1891, 2 p. 110